

دعاة التغيير ومستقبل العراق

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازى (قدس سره)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، ولـلعنة الدائمة على
أعدائهم أجمعـين إلى قيام يوم الدين.

الأمانة في الاستخلاف

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ((قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَوْمَكُمْ وَيَسْتُخْفِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ))^(١). إن خلافة الإنسان، هي عبارة عن رعايته لما استؤمن عليه، مما خلق الله عز وجل، وأدائه الأمانة على أحسن وجه أراده الله تبارك وتعالى منه؛ ليتم الهدف الذي من أجله خلق الله الدنيا، وجعل الإنسان خليفة فيها، فتكون الدنيا وسيلة للوصول إلى الدار الآخرة، والدرجات العالية.

فقد قال تعالى في القرآن الحكيم: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَجْعَلْ فِيهَا مِنْ يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَحْنُنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَسِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ))^(٢).

وقال سبحانه: ((إِنَّمَا دَأْدَأْنَا جَعْلَنَا خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْهَا هَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ))^(٣).

وقال عز وجل: ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْتُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَورٌ رَحِيمٌ))^(٤).

و قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «كُلُّمَا رَاعَ وَكُلُّمَا مُسْنُوْلَ عَنْ رِعْيَتِهِ، فَإِلَمَامُ رَاعٍ وَهُوَ المُسْنُوْلُ عَنْ رِعْيَتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مُسْنُوْلُ عَنْ رِعْيَتِهِ، وَالمرأةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مُسْنُوْلَةٌ عَنْ رِعْيَتِهَا، وَالخادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مُسْنُوْلُ عَنْ رِعْيَتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مُسْنُوْلُ عَنْ رِعْيَتِهِ، وَكُلُّمَا رَاعَ وَكُلُّمَا مُسْنُوْلَ عَنْ رِعْيَتِهِ»^(٥).

لذا كان من واجب الإنسان أن يبني حياته الاجتماعية على أساس من العدل والتآلف، والأخوة والمحبة؛

١. سورة الأعراف: ١٢٩.

٢. سورة البقرة: ٣٠-٢٩.

٣. سورة ص: ٢٦.

٤. سورة الأنعام: ١٦٥.

٥. غالى اللالى: ج ١ ص ١٢٩ الفصل ٨ ح ٣.

لتحقق للمجتمعات سعادتها، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةُ بْنِو أَبِي وَأُمِّ، وَإِذَا ضُرِبَ عَلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ عَرَقَ سَهْرَ لِهِ الْآخَرُونَ» (١).

وعن جابر الجعفي قال: تقبضت بين يدي أبي جعفر (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني، أو أمر ينزل بي حتى يتعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي؟
فقال (عليه السلام): «نعم يا جابر، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طِينَةِ الْجَنَانِ، وَأَجْرَى فِيهِمْ مِنْ رِيحِ رُوحِهِ؛ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِذَا أَصَابَ رُوحًا مِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحِ فِي بَلْدَةٍ مِنَ الْبَلَادِ حَزَنَ حَزْنَ هَذِهِ؛ لِأَنَّهَا مِنْهَا» (٢).

نعم، فهذا المؤمن أخو المؤمن وبالتالي يكون هذا الإنسان المؤمن في مستوى الأمانة والاستخلاف. ولعل أوضح مثال للإنسان غير الصالح للاستخلاف طغاة العراق الذين ألسسوه ثوب الدمار والذلة، قتلاً وتشريداً لخيرية أبنائه؛ بغية سلخ هذا الشعب وهذه الأمة عن دينها، والقضاء على قيمها ومبادئها السامية (٣). إلا أن إرادة الشعب دائماً أقوى من إرادة أولئك الطغاة؛ لأن الشعب يستمد قوته من الإيمان بالله، والتوكيل عليه، وطلب العون منه.

فرغم استمرار مأساة الشعب العراقي المظلوم، ورغم الوحشية والقسوة في قمع هذا الشعب نجد فيه من يقف كالطود في وجه هذا الكابوس الجاثم على صدره، جاداً في منعه من تحقيق أهدافه الخبيثة في سلب ثروات الشعب الضخمة. وهدف هؤلاء المخلصين هو تطبيق أحكام الإسلام وإعلانه ديناً ونظاماً لما تتضمن تلك الأحكام سعادة الإنسان ورفاهه وحريته في الدنيا والآخرة.

ولكي تكون هذه الحركة المضادة لمخططات النظام صحيحة ومتقدمة، لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط الواجب مراعاتها في العمل والتحرك، لكي تعطي الجهود أكلها وجناها، ولعل أهم هذه الأمور هي: المرتكزات السياسية بكلفة مفرداتها وأشكالها.

الفهم السياسي

قال تبارك وتعالى: ((كُلَّا نُمِدُّ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)) (٤).

إن من أهم تلك المفردات السياسية التي يجب على دعاة التغيير أن يتخلوا بها هو: الفهم السياسي؛ إذ بدون الفهم المذكور لا يتمكن الإنسان من الشروع في العمل، وإن بدأ فإنه لا يمكن من الاستقامة والاستمرار ومهما كان يملك من الجلد والمقاومة، فإنه سيعجز عن مواصلة السير إلى الهدف المنشود.

١. الكافي: ج ٢ ص ١٦٥ باب أخوة المؤمنون بعضهم لبعض ح ١.

٢. الكافي: ج ٢ ص ١٦٦ باب أخوة المؤمنون بعضهم لبعض ح ٢.

٣. طغاة العراق اليوم يتمثلون بنظام صدام وزبانيته البغيضة الذين يجثمون على صدور الشعب العراقي منذ عام ١٩٦٨م بعد انقلاب قاموا به على حكم عبد الرحمن عارف.

٤. سورة الإسراء: ٢٠.

ومن الواضح، أن بعض المثقفين من المتدينين، أو غيرهم، لا يعرفون السياسة ولا يفهمونها إلا فهماً سطحياً، فهماً مجرداً عن التجربة والتطبيق، فهم - غالباً - منشغلين بدراسة العلوم النظرية وغيرها؛ ولذا نرى المسلمين يصب عليهم البلاء صباً، وهم عاجزون عن معرفة السبب الحقيقي، والمصدر الكامن وراء ذلك، وبالتالي يعجزون عن رفعه وعلاجه، ومن ثم الخروج من المأزق بسلام.

فمن اللازم دراسة السياسة دراسة مستوعبة، وممارستها في الواقع العملي، وحيث لا يمكن تجريد السياسة عن علمي الاجتماع والاقتصاد، فيتوجب على دعاة التغيير من العاملين في الحقل السياسي دراستهما أيضاً.

ثم إنَّ الفهم السياسي بمفرده، مجرداً عن التجربة الميدانية، يعتبر نقصاً في شخصية العامل، فلا بد من النزول إلى الساحة السياسية بكل ميادينها، والإطلاع على مستواها ونمطها، ومدى استعدادها لتقدير التغيير.

غاندي والاستقلال

حينما كان غاندي (١) منشغلاً بتحرير الهند سافر إلى إنجلترا لأمر ما، وبينما كان جالساً في أحد المجالس قام إليه أحد الحاضرين، فسألـه قائلاً: إن عيسى)) على نبـينا وـعلى آله وـعليـه السلام ((ولـأجل إصلاح الناسـ، قال: «إـذا ضـربـكـ أحـدـ عـلـىـ خـدـكـ الأـيمـنـ، فـأـدـلـ لـهـ خـدـكـ الأـيسـرـ» (٢)، فالشيء الذي جـئتـ بهـ لإـصلاحـ الناسـ، لاـ أـثـرـ لهـ سـوـىـ استـهـاضـ الشـعـبـ الـهـنـديـ ضدـ بـرـيـطـانـياـ.

قال غاندي: إن كلام المسيح - (عليـهـ السـلامـ) - حقـ، ولكنـنيـ أـقولـ:

إنـ عـلـىـ الإـنـسـانـ أـنـ يـتـحـمـلـ كـلـ مـاـ يـعـتـرـضـهـ مـنـ صـعـوبـاتـ، وـأـنـ يـبـقـىـ مـعـ الـحـقـ، وـالـحـقـ يـكـمـنـ فـيـ تـخـلـيـصـ أـبـنـاءـ بـلـدـيـ مـنـ أـيـدـيـ الـمـسـتـغـلـينـ (٣).

وهـذاـ لـهـ الـأـثـرـ الـوـاـضـحـ فـيـ عـمـلـيـةـ الإـلـاصـاحـ عـلـىـ مـرـ التـارـيخـ، وـبـشـهـادـةـ الـجـمـيعـ سـوـىـ مـنـ عـمـيـتـ بـصـيرـتـهـ، فـإـنـهـ يـرـىـ اـسـتـهـاضـ الشـعـبـ عـمـلـاـ غـيـرـ مـقـيـدـ؛ لـأـنـهـ يـؤـدـيـ إـلـىـ فـقـدانـ مـصـالـحـهـ.

١- (موهندس كرامشاند) (١٨٦٩ - ١٩٤٨م): فيلسوف ومجاهد هندي، ولد في بور بندر، اشتهر بلقب «المهاتما» أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الإيكليز بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف. أدت جهوده إلى استقلال الهند عام ١٩٤٧م. اختاله براهمناتي مت指控. يعد من أبرز دعاة السلام واللاعنف في العصر الحديث.

٢- انظر الكافي: ج ٨ ص ١٣٨ حديث عيسى ابن مريم (عليـهـ السـلامـ) ح ٣، ١٠، وفيـهـ: «.. وـإـنـ لـطـمـ خـدـكـ الأـيمـنـ فـأـعـطـهـ الأـيسـرـ».

٣- لمعرفة المزيد عن سيرة غاندي انظر كتاب (قصة تجاريـيـ معـ الـحـقـيقـةـ).

قصة من الواقع المؤلم

نقل لي أحد الأفاضل: أن وزيرًا قاجارياً^(١) كان قد صادقه أيام زيارته للعراق، فنقل له هذه القصة: كان في الجبال بين طهران وخراسان راهب مسيحي متبلّ متعبد معروف في أوساط الناس بالزهد والانقطاع إلى الله تعالى، وكان في صومعة في الجبل، منذ أكثر من خمسين سنة، ولكنني فوجئت ذات مرة بكتاب من الراهب يدعوني فيه لزيارتة في يوم كذا؛ وحيث كنت أعرف زهده وتقواه، وكنت أجله وأحترمه لبيت دعوته، وحضرت عنده وإذا بي أجد عنده مجموعة من الناس تضم عدداً كبيراً من شخصيات البلد، وكلهم كانوا قد دعوا أيضاً، وبعد أن استقر بنا المجلس، قال الراهب: أعلموا أنني لم أكن راهباً في يوم من الأيام وإنما أنا من البريطانيين تلبست بهذا الرزي لخدمة وطني، وكانت أقوم في هذه المدة الطويلة بدور التجسس في إيران وأفغانستان؛ لغرض الحصول على المعلومات عن طريق العملاء!! والآن وأنا أحس باقتراب موتي أتوب إلى الله مما عملته، وإنني أظهر لكم إسلامي، وأرجو إذا مت أن تجهزوني كما تجهزون المسلمين، ثم بدأ يبكي ليثير فينا أكبر قدر ممكن من الشفقة عليه والعاطفة، فهذه طريقتهم دائمًا.

ولعل خطوته الأخيرة هذه أي: إخبارهم بأمره، وإعلان إسلامه، وبكانه، أيضاً كانت ضمن برنامجه الموجه؛ لكي يبين لنا قوة دولته.

نعم، هكذا يتغلغل الاستعمار في بلادنا، يدس عمالء في كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية التي تغطّ في سبات وجهل عما يدور حولها، مما يسهل الأمر للاستعمار بالتدخل في شؤوننا.

لذا لابد أن لا ينخدع الإنسان بالمظاهر، فليس المعيار ظاهر الإنسان، وإنما المعيار القلب السليم والعمل النابع من الإخلاص والإيمان.

وهذه الأمور من الأمور الخفية التي لا تكشف للإنسان إلا إذا كان دعاة التغيير أصحاب فهم سياسي وبصيرة نافذة ترى الأشياء على واقعها، وكما في الحديث الشريف: «المؤمن ينظر بنور الإيمان»^(٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «.. وقطع عنمن ينسىك وصله ذكر الله، وتشغلك لفته عن طاعة الله؛ فإن ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه، ولا يحملنك رؤيتك إلى المداهنة عند الحق، فإن في ذلك خسراً عظيمًا نعوذ بالله»^(٣).

وقال لقمان لولده: «.. ولا تأمن من الأعداء؛ فإن الغل في صدورهم»^(٤).

^١- قاجار: سلالة حكمت إيران (١٧٩٥-١٩٢٥م)، أسسها آغا محمد خان وتولى عليها فتح علي شاه، ومحمد شاه، وناصر الدين شاه، ومظفر الدين شاه، وكان آخرهم أحمد شاه (١٩٠٩-١٩٢٥م) وبعده جاء رضا بهلوبي.

^٢- بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٢٣ ب ١٦ ضمن ح ١٦.

^٣- مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٥٣ ب ٢٧ ح ٩٤٦٠.

^٤- بحار الأنوار: ج ١٣ ص ٤٢٩ ب ١٨ ضمن ح ٢٣.

من أوليات الفهم السياسي

إن من أوليات الفهم السياسي: أن نعرف أن هناك ثلاثة أشياء ليست من الإسلام في شيء، وإن جاء المستغلون لها بـألف حجة ودليل، وهي:

١- إن كل شيء يهدّد وحدة المسلمين، ويفرقهم على أساس من القومية أو الطائفية أو العنصرية، فهو ليس من الإسلام في شيء. والمفروض أن تذوب كل هذه التقسيمات من خلال وحدة الإسلام العظيم، الذي يرى كل المسلمين سواسية، وأنهم أخوة تتكافأ دمائهم. فقد قال سبحانه وتعالى: ((وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ أَمْتَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَإِنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ))^(١).

وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتفوي»^(٢). وأبرز مثال على ذلك هو: الأخوة التي عقدها النبي بين الأنصار والمهاجرين، حيث كان الإسلام فوق كل الفوارق الأخرى، والتاريخ يشهد بقوة ذلك المجتمع من جراء وحدة القلوب، ومن ثم وحدة الصفة^(٣).

٢- إن كل من يصل إلى الحكم بلا استفتاء حرّ من الشعب، وبلا شورى منهم، ولا انتخاب و اختيار، فهذه الصورة ليست من الإسلام في شيء، سواء كان وصوله إلى الحكم بسبب العشيرة، أو القبيلة، أو بسبب الملكية الوراثية، أو بسبب الانقلاب العسكري، أو بغير ذلك.

٣ - إن كل بلد يُجهر فيه بالمعاصي والمحرمات، وهو على مرأى ومسمع من الحكومة أو بتشجيع منها، فذلك دليل على انحراف تلك الحكومات عن الإسلام وابتعادها عنه. ولربما محاربتها له. فعلى التيار الإسلامي الذي ينشد التغيير أن لا تغيب عنه هذه الأساليب والألوان، التي تقوم بها تلك الحكومات.

دائما مع الناس

إن على الرجال المعينين بقضية العراق أن يشخصوا العلاقات البارزة في مستقبله، وهذا التحرك يجب أن يكون مقتربنا بالإخلاص التام، والتوكّل على الله - عز وجل - أولاً، وصمود الإرادة ثانياً، والابتعاد عن الاستبداد الحزبي ثالثاً.

فمن المغالطات في بعض التنظيمات الحزبية هو ابتعادها عن الناس، وعدم تفاعلها معهم، إلا في المواقف الحرجة التي تفرض عليهم أن يتعاملوا مع الناس، والناس لا يتفاعلون إلا مع من يتفاعل معهم، لا في قضايا الحاجات فحسب، بل في الآراء والأعمال أيضاً.

فإن الناس يريدون من هو منهم واليهم، وهم منه واليه، ولا يريدون جماعة تعمل خارج نطاقهم، وتتکبر

^١- سورة المؤمنون: ٥٢.

^٢- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٨٩ ب ٧٥ ح ١٣٥٩٨.

^٣- انظر وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٢٨٣ ب ٢٤ ح ٣٠٥٥١.

عليهم، وتستبد بالآراء دونهم؛ ولذا لا تتمكن أمثل هذه التنظيمات من تحريك الناس، فالواجب على المنظمات الإسلامية وأشباهها، وعلى من يريد إنقاذ المسلمين في العراق، وفي غير العراق أمران هما: الإشارة، والتواضع. كما يوصينا بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «الشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب»^(١).

وقال (عليه السلام): «لا تستصغرن عندك الرأي الحظير إذا أتاك به الرجل الحقير»^(٢).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه»^(٣).

وسئل (عليه السلام): ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟

فقال (عليه السلام): «التواضع درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يوتى إليه، إن رأى سينية درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن الناس، والله يحب المحسنين»^(٤).

تحمل المصاعب

إن على المعنيين بقضية العراق، وتحريره من الكابوس الجاثم على صدره، أن يتحملوا الصعوبات والمشاق؛ فإن تحملها يسجل للإنسان التاريخ المشرق، ويدفع الأجيال إلى الأمام؛ وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به»^(٥).

ولذا نرى تحمل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المشاق الجسدية والروحية، حتى قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «ما أؤذينبي مثلكما أوذيت»^(٦) وهكذا الأئمة المطهرون (سلام الله عليهم أجمعين) ومن سار على نهجهم من الأولياء والمخلصين والعلماء.

التعديدية الحزبية

قال تبارك وتعالى: ((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ))^(٧).

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ الفصل ١ ح ١٠٠٦١.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ الفصل ١ ح ١٠٠٥٨.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٢٤ باب التواضع ح ١٣.

٤- الكافي: ج ٢ ص ١٢٤ باب التواضع ح ١٣.

٥- الكافي: ج ٥ ص ٨ باب فضل الجهاد ح ١١.

٦- المناقب: ج ٢ ص ٢٤٧ فصل في مساواته يعقوب ويوفس (عليهما السلام).

٧- سورة الشورى: ٣٨

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب»^(١). من المفردات السياسية المهمة التي يجب أن يحملها الإنسان المغير، هي الإطلاع والمعرفة بفوائد التعديدية الحزبية، والأضرار الناجمة عن نظرية الحزب الواحد، الذي عادة ما يؤدي إلى ظهور الدكتاتورية، بينما التعديدية تعطي فرصة للشعب وللأفراد، والتجوء إلى أي حزب أرادوا، وإعطاء صوتهم لأي حزب يرون أنه يخدم الشعب، ويحافظ على وحدته.

ففي ظل التعديدية يرتفع ستار الجبر والضغط على الشعب، وتتوفر الحريات ضمن إطار الشرع المقدس، وبموجبها يعلن الفرد ويصرح عن رأيه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «امضوا الرأي مغض السقاء ينتج سديد الآراء»^(٢).

الأحزاب في العراق

كان في العراق «٤، ٤» حزباً - كما أتذكر - وكانت جميعها تعمل بحرية - نسبياً - وكان أكبر هذه الأحزاب أربعة منها، وهي: حزب الاستقلال، وحزب الدستور، والحزب الديمقراطي، وحزب الأمة^(٣). فعلى الرغم من أن هذه الأحزاب لم تكن إسلامية، ولا ينكر بها، لأن الحزب في نظرنا يجب أن يستمد مبادئه من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويتبَّع القيادة الرشيدة للمرجعية، إلا أنها كانت أحزاباً وطنية، وتقوم أحياناً على خدمة الناس والبلاد، والدفاع عنهم، وحل مشاكل الأفراد؛ ولذلك كان الناس يعكسون احترامهم وتقديرهم لهذه الأحزاب. بينما في نظرية الحزب الواحد، غالباً ما تفرض سياسة الحزب ورؤاه الخاصة على الأمة، فيكون الأفراد مجبرين على سياسة هذا الحزب، ولا خيار لهم، لخلو الساحة من أي منافس آخر.

المعالم الواضحة

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد»^(١). وعن سليمان الجعفري قال: قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): «أتدرى لم سمي إسماعيل صادق الوعد؟». قلت: لا أدرى.

قال: «وعد رجلًا فجلس حولًا ينتظره»^(٢).

^١. غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٢ ق ٦ ب ٤ الفصل ١ ح ١٠٠٦٣.

^٢. غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٢ ق ٦ ب ٤ الفصل ١ ح ١٠٠٦٢.

^٣. حزب الأمة: كان في كربلاء وكان من ضمن المتنافسين على قيادته (عبد الحسين كمونه).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من المروءة أن تقتصر فلا تصرف وتعد فلا تخلف»^(٣). من الضروري للعاملين والساسين نحو مستقبل العراق أن يوضحوا معالم طريقتهم وسياستهم ومفرداتها، وأن يذروا الخوض في الوعود - بلا ميزان - للناس، سواء قبل الوصول إلى الحكم، أو بعد الوصول إليه، فإن الإنسان قد يحاول بسبب الوعود الخلاصة أن يجذب الناس حوله، بينما ذلك يأتي بعكس النتيجة، فإنه كثيراً ما لا يمكن الإنسان من الوفاء بوعده، فينفض الناس من حوله، على أنه ينبغي لنا جميعاً أن لا ننخر وسعاً لتقويم كل اعوجاج، وللوقوف بوجه كل من يعمل ضد حرية الناس، وضد حقوق المسلمين، وغير المسلمين.

البرنامج المتكامل

إن وضوح المعالم لا يقتصر على المفردات الداخلية للعمل السياسي، بل تشمل القضايا الإقليمية والدولية، فمثلاً: إن مسألة الجوار، وحسن التعامل والترابط من أهم المسائل في عالم اليوم، فلا بد من الإنقاء مع الجيران وتنسيق الخطوات، ووضع نوع الروابط، التي يجب اختيارها مع هذه الدول المجاورة للعراق. وجعل هذه النقطة من الأسس الرئيسية التي تثبت في برنامج العمل المستقبلي. فلا بد من إيجاد صيغة للفهم مع الدول المجاورة. كما أن البعض يتصور أن الحصول على التأييد الشعبي الكبير يالقاء الوعود الفارغة، وتحسين الصورة من قبل أتباعه، من أهم خطوات العمل. ولكن الأمر على العكس تماماً؛ إذ أن الدخول في منافسات التأييد الشعبي مع الآخرين سوف يرهق الأموال والخزينة ويستنزفها، وبالتالي سيأتي يوم تسحب الجماهير منه تأييدها، بمجرد التقصير في أدنى نقطة في الحياة الاجتماعية ونظمها، وهذا سيؤدي إلى السقوط أو الضعف الواضح، الذي يؤدي هو بدوره إلى فتح جبهات مناهضة.

إن السير مع الجماهير بإخلاص تام، وخدمتهم بأكبر قدر ممكن، وعدم تجاهل أي منهم، وتوضيح خط سير الحركة الإسلامية التغييرية، وإعلان شعار واضح، وإبراز رجال لا تحوم حولهم الشبهات، كل ذلك هو المهم في عمل القادة والحركات؛ لأن الجماهير هي أساس الحكم، وليس شخص الحاكم أو الحركة، وكذلك بناء علاقات إنسانية مستقلة ومتينة مع الجيران، دون غموض أو تبعية، ورفع الحاجز والقيود التي وضعها المستعمرون في البلاد الإسلامية، من حدود ووثائق تقييد حرية الفرد والأمة.

«اللهم إنا نرحب إليك في دولة كريمة، تعز بها الإسلام وأهله، وتذلل بها النفاق وأهله، وتعطينا فيها من الدعاء إلى طاعتك، والقادمة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة. اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه، وما قصرنا عنه فبلغناه»^(٤) بحق محمد وآلـه الطاهرين.

١. وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦٥ ب ١٠٩ ح ١٥٩٦٥.

٢. وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٦٥ ب ١٠٩ ح ١٥٩٦٧.

٣. غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٢ ق ٣ ب ٢ الفصل ٢ ح ٥٢٩٢.

٤. البلد الأمين: ص ١٩٥ دعاء في كل ليلة من شهر رمضان.

من هدي القرآن الحكيم

الأمانة

قال تبارك وتعالى: ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَاهَدُوهُمْ رَاعُونَ))^(١).

وقال سبحانه: ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيْنَمَا نَحْمِلُهَا وَأَشْفَقُنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِلَيْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلَومًا جَهُولًا))^(٢).

وقال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَإِنَّمَا تَعْلَمُونَ))^(٣).

وقال عز شأنه: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعُدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا))^(٤).

وقال سبحانه: ((فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَيُؤْدِيَ الَّذِي أُوتُمْنَ أَمَانَتَهُ وَلَيَنْقُضَ اللَّهَ رَبَّهُ))^(٥).

الوعي

قال تعالى: ((قُدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ))^(٦).

وقال سبحانه: ((فَلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(٧).

وقال عز وجل: ((لَا تَجْعَلْنَا لَكُمْ تَذَكِرَةً وَتَعِيَّنَهَا أَذْنُ وَأَعْيَهُ))^(٨).

وقال عز اسمه: ((إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةً فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا))^(٩).

الإصلاح

قال جل وعلا: ((لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلُ

١- سورة المؤمنون: ٨.

٢- سورة الأحزاب: ٧٢.

٣- سورة الأنفال: ٢٧.

٤- سورة النساء: ٥٨.

٥- سورة البقرة: ٢٨٣.

٦- سورة الأنعام: ١٠٤.

٧- سورة يوسف: ١٠٨.

٨- سورة الحاقة: ١٢.

٩- سورة المزمل: ١٩.

ذلِكَ ابْنَاءُ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (١).

وقال عز اسمه: ((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْقُلَ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (٢).

وقال سبحانه: ((فَمَنْ أَنْقَلَهُ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرِبُونَ) (٣).

وقال تعالى: ((فَاقْتُلُوا الَّهَ وَأَصْلَحُوا دَارَتَ بَيْنَكُمْ) (٤).

وقال عز وجل: ((إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا أَسْتُطِعُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) (٥).

الإخلاص

وقال سبحانه: ((إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (٦).

وقال عز وجل: ((وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينِ) (٧).

وقال سبحانه: ((إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)) (٨).

وقال عز وجل: ((وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُقْقَاء) (٩).

وقال تعالى: ((وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَيَّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (١٠).

من هدي السنة المطهرة

الأمانة

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): أَكْفَلُوا لِي سَتًّا أَكْفَلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ: إِذَا حَدَثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبُ وَإِذَا وَدَ فَلَا يَخْفِي.. «(١١).

١- سورة النساء: ١١٤.

٢- سورة النساء: ١٤٦-١٤٥.

٣- سورة الأعراف: ٣٥.

٤- سورة الأنفال: ١.

٥- سورة هود: ٨٨.

٦- سورة النساء: ١٤٦.

٧- سورة الأعراف: ٢٩.

٨- سورة الزمر: ٣.

٩- سورة البينة: ٥.

١٠- سورة التوبة: ٥.

١١- مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٠ ب ٩٢ ح ١٠٠٧.

وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «لَا تَمَارِ أَخَاكَ وَلَا تَمَازِحَهُ وَلَا تَعْدُهُ وَلَا تَخْلُفَهُ»^(١).

وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «لَا تَزَالْ أَمْتِي بِخَيْرٍ، مَا تَحَابَوْا وَتَهَادَوْا وَأَدْوَى الْأَمَانَةَ وَاجْتَبَوَا الْحَرَامَ وَوَقَرُوا الصِّيفَ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ، فَإِذَا لَمْ يَفْعُلُوْنَ ذَلِكَ ابْتَلُوْنَ بِالْقُحْطِ وَالسَّنَنِ»^(٢).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «لَا تَنْتَظِرُوْنَ إِلَى طَوْلِ الرُّكُوعِ وَسُجُودِهِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ اعْتَدْتُهُ، فَلَوْ تَرَكْتُهُ اسْتَوْحِشْتُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ انْظُرُوْنَ إِلَى صَدْقِ حَدِيثِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ»^(٣).

وقال (عليه السلام): «عَلَيْكُمْ بِتَقْوِيَّةِ اللَّهِ وَالْوَرْعِ وَالاجْتِهَادِ وَصَدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ الْخَلْقِ وَحُسْنِ الْجَوارِ، وَكُونُوْنَاهُمْ دُعَاءً إِلَى أَنفُسِكُمْ بِغَيْرِ أَسْنَنِكُمْ، وَكُونُوْنَاهُمْ شَيْئًا وَلَا تَكُونُوْنَاهُمْ شَيْئًا، وَعَلَيْكُمْ بِطُولِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَإِنْ أَحَدْكُمْ إِذَا أَطَالَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ هَتَّفَ إِبْلِيسَ مِنْ خَلْفِهِ وَقَالَ: يَا وَيْلَهُ، أَطَاعَ وَعَصَيَّ، وَسَجَدَ وَأَبَيَّتْ»^(٤).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): «إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَرْحُمُوْنَ مَا تَحَابَوْا وَأَدْوَى الْأَمَانَةَ وَعَمَلُوْنَ بِالْحَقِّ»^(٥).

الوعي

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «لَا خَيْرٌ فِي الْعِيشِ إِلَّا لِرَجُلٍ عَالَمٍ مَطَاعٍ، أَوْ مَسْتَمِعٍ وَاعِ»^(٦).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة يذكر فيها آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «عَقْلُوْنَ الدِّينِ عَقْلٌ وَرَعَايَةٌ وَرَعَايَةٌ»^(٧)، لَا عَقْلٌ سَمَاعٌ وَرَوَايَةٌ فَإِنْ رَوَا الْعِلْمَ كَثِيرٌ وَرَعَاتُهُ قَلِيلٌ»^(٨).

وقال (عليه السلام) لكميل بن زياد: «يَا كَمِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أُوْعِيَّةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْهُ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالَمٌ رَبَّانِي وَمَتَّلِعٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاهَةِ وَهُمَّجُ رَعَاعٌ أَتَبَاعُ كُلَّ نَاعِقٍ، يَمْلِيُّونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيُّوْنَا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجُّوْنَا إِلَى رَكْنٍ وَثَيْقٍ. يَا كَمِيلَ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوْنَ عَلَى الْانْفَاقِ، وَصَنْعَيِّ الْمَالِ يَزْوَلُ بِزَوْلِهِ..»^(٩).

الإصلاح

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لأبي أيوب الأنصاري: «يَا أَبَا أَيُوبَ أَلَا أَخْبُرُكَ وَأَدْلُكَ عَلَى صَدَقَةٍ يَحْبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: تَصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسِدُوا وَتَبَاعُدُوا»^(١٠).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثَابِرُوْنَ عَلَى صَلَاحِ الْمُؤْمِنِيْنَ»^(١١).

١- غالى الالى: ج ١ ص ١٩٠ الفصل ٨ ح ٢٧٣.

٢- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٩ ب ٣١ ح ٢٥.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٠٥ باب الصدق وأداء الأمانة ح ١٢.

٤- الكافي: ج ٢ ص ٧٧ باب الورع ح ٩.

٥- مشكاة الأنوار: ص ٥٢ ب ١ الفصل ١٤.

٦- معدن الجواهر: ص ٢٥ باب ذكر ما جاء في اثنين.

٧- عقل الوعائية: حفظ في فهم. والرعاية: ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين.

٨- نهج البلاغة، الخطب: ٢٣٩ يذكر (عليه السلام) فيها آل محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

٩- نهج البلاغة، الحكم: ١٤٧، من كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي.

١٠- تنبيه الخواطر ونذرة النواظر: ج ١ ص ٦.

١١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٥٠ ق ٦ ب ٤ الفصل ١٣ ح ١٠٣٥١.

وقال (عليه السلام): «من كمال السعادة السعي في صلاح) إصلاح ((الجمهور»^(١).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما عمل رجل عملاً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس، يقول خيراً ويتنمّى خيراً»^(٢).

الإخلاص

قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) مخبراً عن جبرئيل عن الله عزَّ وجلَّ أنه قال: «الإخلاص سرٌّ من أسراري أستودعه قلب من أحببته من عبادي»^(٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عليك بالإخلاص فإنه سبب قبول الأعمال وأفضل الطاعة»^(٤).

وقال (عليه السلام): «من عري عن الهوى عمله حسن أثره في كل أمر»^(٥).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً - أو قال: ما اجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً - إلا زهدَه الله تعالى في الدنيا وبصرَه داعها ودواعها، وأثبتَ الحكمة في قلبه وأنطقَ بها لسانه» ثم تلا: ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتُهُمْ حُضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَنَلَهٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)) «فلا يرى صاحب بدعة إلا ذليلاً، ومفترياً على عزَّ وجلَّ وعلى رسوله وأهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»^(٦).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «الإخلاص يجمع فوائل الأعمال، وهو معنى، مفتاحه القبول وتوفيقه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قُلَّ عمله ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثُر عمله اعتباراً بآدم (عليه السلام) وابليس عليه اللعنة»^(٧).

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٨٢ ق ٦ ب ٦ ح ١١١٢٨.

٢- إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٦٥ ب ٤٩.

٣- منية المرید: ص ١٣٣ ب ١ ق ١ الأمر الأول.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ الفصل ٤ ح ٢٩١٥.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ق ١ ب ٦ الفصل ٤ ح ٢٩٠٨.

٦- تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٧ قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ)) ح ٢٧٨.

٧- مستدرك الوسائل: ج ١ ص ٩٩ ب ٨ ح ٨٦.